السذاجة الدينية لدى الافرنج في الحروب الصليبية في بلاد الشام

الباحث: عادل مزعل عسل

أ. م. د. ليلى سلمان ماضي

جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم التاريخ

Email: adilmzal76@gmail!@ .com

الملخص

اوضحت الدراسة بأن السذاجة الدينية للفرنج دفعتهم الى الايمان بالسحر والخرافات والخزعبلات والخوارق الطبيعية والمعجزات والاحلام وهذا ما جعلهم اسهل قيادة وحكم ، وقد استغل رجال الدين والقادة الصليبيين هذه السذاجة في كثير من المواجهات مع المسلمين ورأينا من خلال الاحداث التارخية كيف شرع البابا اوربان الثاني هذه الحرب وان الله يريدها وكل اللذين يشتركون بالحملات الصليبية سوف تغفر ذنوبهم ، وكيف استغل بطرس بارثولميوا هذه السذاجة في قصة الحربة المقدسة وكيف استطاع من خلالها شحن همة الصليبيين واقتحام انطاكية .

Summary

The study clarified that the religious naivety of the reference pushed them to believe in magic, superstitions, myths, natural phenomena, miracles, and dreams, which made them easier to lead and control .Religious leaders and Crusader commanders exploited this naivety in many confrontations with Muslims. Through historical events, we saw how Pope Urban II legitimized this war, claiming that it was God's will and promising that all participants in the Crusades would have their sins forgiven. Peter

also exploited this naivety in the story of the holy war and managed to mobilize the Crusaders' zeal and lead them to storm Antioch.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين ابو القاسم محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

شهدت بلاد الشام في العصور الوسطى حروب صليبية شرسة تركت صفحة مظلمة في التاريخ الانساني ادت الى تحطم وانهيار معظم مدنه والاستيلاء عليها وتأسيس الامارات الصليبية المعروفة وهي (الرها وانطاكية وبيت المقدس وطرابلس) واسسوا مملكتهم التي استمرت لمدة قرنين ، فكانت هذه الحروب حافلة بكثير من الاحداث التاريخية واشغلت حيز كبير من اهتمام المؤرخين والباحثين وركزت كتاباتهم على الجانب السياسي والعسكري والاقتصادي واعمال قادتها واخبار ملوكها دون الاهتمام بطبائع واخلاقيات وسلوكيات الافرنج اثناء الحملات الصليبية او في الامارات الصليبية التي اسسوها في بلاد الشام .

وقد قسم البحث الى مبحثين جاء في المبحث الاول الايمان بالسحر وكيف كان الانسان خاضع لأفكار فيما وراء الطبيعة وايمان الافرنج بالسحر واستعانتهم بالمنجمين والفلكيين وكذلك ارتباط السحر بالطب ، وجاء في المبحث الثاني الايمان بالخزعبلات والخرافات والظواهر الخارقة فتناولت هذه الفقرة كيف كان الافرنج مؤمنين بالخزعبلات والخرافات الدينية وكيف اقتبس البابا اوربان الثاني كلمات من الانجيل وتوظيفها لصالح الحروب الصليبية وفكرة غفران الذنوب وان الحرب الصليبية هي مشاريع الرب وقصة الحربة المقدسة وكيف كان الافرنج مؤمنين بالظواهر الطبيعية التي تحدث ويفسرونها بأنها اشارات ومعجزات من الرب يرشدهم الى الحرب الصليبية فكان لهذه السذاجة الدينية للافرنج دور كبير في الحروب الصليبية فقد استغلها رجال الدين والقادة في اثارة حماسة الصليبيين وقت الازمات وكذلك سهولة قيادتهم .

المبحث الاول :

الايمان بالسحر

كانت أوربا في العصور الوسطى مخيم عيها ظلام الجهل والسذاجة الدينية ، وكان الانسان خاضع دينياً وفكرياً للأفكار فيما وراء الطبيعة ، وفق تصوراته وتخيلاته ، حيث كان عالمة مكان مرعب للقضايا الروحية والشيطانية ، وخضوع الاشياء المادية الى قوة الارواح الشريرة والمعجزات ، وكان الانسان في صراع مستمر مع الارواح الشريرة حيث يعتقد الانسان ان هذه الارواح الشريرة لها اماكن خاصة مثل فتحات الاباريق ، وقرب قبور الموتى ، وفي الاماكن المتروكة ، وفي الغابات المظلمة ، والكهوف وغيرها ، ويعتقد ايضاً ان المجانين والاقزام والسحرة هم جنود الشيطان ، وتقوم الناس بمقاومة هذه الارواح الشريرة بذكر الرب واسم المسيح ، واحياناً يستخدمون هذه الارواح الشريرة في الطب ، لعلاج المرضى [1] .

ويؤكد ارتباط السحر بالطب عند الصليبيين ما ذكره ابن منقذ [2] فيقول " طبيب إفرنجي ... ابصر [الى] المرأة فقال هذه المرأة في رأسها شيطان قد عشقها، احلقوا شعرها، فحلقوه وعادت تأكل من مأكلهم الثوم والخردل فزاد بها ... فقال الشيطان قد دخل في رأسها. فأخذ الموس وشق الرأس صليب وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس وحكه بالملح، فماتت من وقتها " .

كما كان الجهل يسيطر على طبقة الفلاحين في أوربا خلال العصور الوسطى بصورة مباشرة حيث لم يكن هناك تطور حضاري ولم يعرف التعليم عندهم وكان الفلاح يعيش حياة بدائية خشنة وكانت القرية هي نواة المجتمع الاوربي الغربي فكان الناس يجتمعون فيها بالمناسبات والاعياد والتمتع بالنظر الى القساوسة وهم يقومون بالطقوس الدينية بما كان للكنيسة من اهمية كبيرة في حياتهم واغلب الاحيان كان القساوسة رجال اميين لا يفقهون الكتابة والقراءة ولا يصلحون للوظائف الدينية فكان يعطي تعاليم الكنيسة للناس بصورة ارتجالية ويلقنون رعاياهم التعاليم الانجيلية فكان الناس مثقلين بالأشياء الغيبية التي تغذيها الحياة الدينية والاساطير السحرية القديمة [3].

وكانت هذه الاساطير السحرية تتماشى مع حياة الصليبيين حيث يقوم رجال الدين بتغذيتها لهم ويوهمون الناس بها حتى يستخدموا الطاقات البشرية لتحقيق اهدافهم الخاصة ويؤكد ذلك ريموند اجيل [4] اذ قال " في احد الايام ، بعد حصار بيت المقدس ، اخبر ناسك على جبل الزيتون [5] بعض الأمراء هناك أن الرب سيعطيكم بيت المقدس ، إذا هاجمتموها غدا حتى الساعة التاسعة ... ثم اخلعوا أحذيتكم ، وسيروا حفاة باقدام عارية حول بيت

المقدس ، ولا تنسوا أن تصوموا . فأذا اتبعتم هذه الأوامر ، ستسقط المدينة نهاية الايام التسعة بعد هجوم عنيف ، ولكن اذا لم يفعلوا ذلك فأن الرب سيزيد من كل مصائب الماضي " .

وفي احداث معركة عسقلان [6] عام (492هـ/1099م) يذكر احد المؤرخين الصليبيين ان المسلمين قبل المعركة استعانوا بالمنجمين والفلكيين والسحرة حيث قدموا لهم النصائح بعد مقاتلة الصليبيين قبل سابع يوم من الاسبوع وحذروهم اذا تقدموا للمعركة قبل هذا اليوم سوف تكون النتائج وخيمة وفي غير صالحهم [7] .

فقد اكدت لنا المصادر ما جبل عليه الصليبيون من الجهل والسذاجة الدينية منذ انطلاق الحملة الصليبية الاولى وقبلها واشترك في ذلك كل طبقات المجتمع الاوربي الغربي ونسجوا الاساطير والقصص والخرفات لخدمة مصالحهم الكنيسة وساعدت السذاجة الدينية رجال الدين والكنيسة حيث استخدمت هذه الطاقات البشرية في خدمة مصالحها وتحقيق اغراضها [8] .

المبحث الثاني :

الايمان بالخزعبلات والخرافات والظواهر الطبيعية

كانت الحياة الدينية في غرب أوربا بالعصور الوسطى مخيم عليها ظلام الجهل كما ذكرناها سابقاً حافلة بكل قصص الاساطير والقصص الخيالية التي يصيغها رجال الدين للناس على شكل حقيقة مؤكدة وينسبون كل الظواهر الطبيعية الى قصص مرعبة ولا ينسبونها للخالق حتى يثيروا مخاوف الناس بها لكي يتمكنوا من تكريس طاقاتهم الحركية في صالح الكنيسة فيخترع رجال الدين معجزات وقصص مرعبة كثيرة بين الناس مثل قصص النجوم الساقطة والاطفال الذين يتكلمون اثناء ولادتهم او يولدون بأطراف مضاعفة ومشاهدة معركة بين فارسين في السماء وغيرها من القصص [9] .

ويؤكد هذه السذاجة والخرافات ان كل شعب الغرب الاوربي بكافة طبقاته من رجال دين وفرسان وفلاحين ونساء واطفال قد تركوا اوطانهم ونزحوا بهجرات جماعية نحو الشرق مصطحبين معهم امتعتهم واسلحتهم تنفيذاً لخطة البابا اوربان الثاني [10] والكنيسة وقصص وخرافات بطرس الناسك [11] الذي دعا كل الحكام اللاتين في أوربا ان يهاجروا نحو الشرق لنجدة القبر المقدس في فلسطين مدعي في ذلك انه سمع صوت من السماء او في المنام يأمره في ذلك ويجاهدوا بأرواحهم لتحرير بيت المقدس والصلاة بالقبر المقدس وكان بطرس ذا حاله رثه ويمتطي حمار اعرج حتى يخدع الناس بهذا المظهر البائس وتأليف القصص الخيالية للترويج للحرب فتوافد الكل له [12] .

وعندما خطب البابا اوربان الثاني في الناس بمجمع كليرمونت [13] واثارة حماستهم الدينية وتوظيفها بالحرب الصليبية حيث استغل جهلهم الديني واقتبس كلمات من الانجيل لتأكيد هذه الحرب مثل " إن اراد أحد ان يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني " [14] .

ومن سياسة البابا اوربان الثاني انه قام باستغلال السذاجة الدينة للناس حيث طرح فكرة غفران الذنوب اي ان الصليبيين كانوا ممتلئين بالذنوب والخطايا بسبب جهلهم بالحياة الدينية وانه سوف يحاسبون على ذنوبهم التي اقترفوها بالعالم الأخروي ، لكن عند مشاركتهم بالحملات الصليبية سوف تغفر جميع خطاياهم التي ارتكبوها ويبدون حياة جديدة وان الحملات الصليبية هي ابتغاء مرضاة الله والمسيح ورسم لهم بأن الحرب الصليبية هي الفرصة الوحيدة لإعلان توبتهم اضافة الى ذلك سوف تقوم الكنيسة برعاية اسرهم وممتلكاتهم في أوربا اثناء غيابهم [15] .

وبلغت سذاجتهم الدينية انهم تصوروا كل شيء يحدث هو دعم الرب لهم في هذه الحرب ومثال على ذلك عندما قامت احدى فصائل الحملة الشعبية التي قادها رجل الدين بطرس الناسك مقتدين بأثنين من الحيوانات وهي عنزة وأوزة ويسيرون خلفهن ويعبدونهن ومتخذيهن دليل لهم الى الارض المقدسة ويزعمون بأن الروح المقدسة قد تقمصت بهن لأرشادهم الى القبر المقدس وكانت هذه الجموع الغفيرة تسير خلف الأوزة والعنزة ويصورنها رجال الدين لهم انها معجزة من السماء وان الرب قد سير حتى الحيوانات لتحرير القبر المقدس [16] .

ويروي لنا احد المؤرخين اللاتين بعد احتلال مدينة نيقية [17] انه حدثت لهم معجزة سماوية اثناء قتالهم مع جيش المسلمين في احدى المعارك قد ظهر لهم فارسين ذو مظهر مبتهج ويلبسان ملابس بيضاء ودروع براقة ويسيرون امام الجيش الصليبي ويخيفان الاعداء ولا تؤثر بهم سيوف الاتراك ولا طعنات رماحهم اي انهم ملائكة نزلوا عليهم من السماء ليحاربوا معهم [18] .

ونلاحظ سذاجة الصليبيين الدينية من خلال كتابات مؤرخيهم وكيف اسبغ عليها شيء من الخرافة والاعجاز ، فذكر ان هنالك حادثة حصل عليها شيء من الاعجاز الالهي ، وهي عندما هزم الصليبيين الاتراك في نيقية واستمروا في مسيرهم صوب بلاد الشام ، لكن المرض اضعف قائدهم وابطئه عن الحركة لكن في المنام جاء له مبعوث من السماء وقال له " اهدأ بالا . فلن تموت من هذا المرض لأنني ضمنت لك راحة من عند الله ، وسأكون دائما قريبا منك " ، ويذكر الكاتب ان

الكونت كان ليس فيه حركة وقام الاسقف بقراءة صلات الموت عليه ، لكن مبعوث السماء اعاد به الروح وارجعه سالماً لقيادة الجيش [19] .

وقام رجال الدين بتهويل المعجزات على مسامع الصليبيين دائماً واستغلال سذاجتهم الدينية ويشدون من عزمهم للحرب الصليبية ويؤكدون على دعم الرب لهم ، ومثال على ذلك اثناء حصار انطاكية [20] عام (491هـ/1097م)، بعد ان طالت مدة الحصار وشح الاكل عند الصليبيين واصابهم البؤس ، مما قام كثير منهم ترك الحصار والذهاب الى المناطق المجاورة يبحثون عن الغذاء ولم يرجعوا للحصار مرة ثانية فخاف رجال الدين والقادة ان يتفكك هذا الحصار فبثوا الرعب والخوف في قلوب الجيش ويجب عليهم مواصلة الحصار ، من خلال زعمهم انهم رأوا في السماء شعاع احمر وفي وسطة صليب ابيض اللون يسير نحو الشرق بخط مستقيم [21] .

وتظهر سذاجة الصليبيون في حادثة اخرى عندما اسر المسلمين في احد المعارك جماعة من الصليبيين وكان من ضمن الاسرى رجل عظيم يتمتع بالقوة والشهرة فقال له قائد المسلمين كيف اسرك رجل اضعف منك حالاً ولا يمتلك سلاح فقال له الصليبي ان الذي اسرني ليس هذا الضعيف ولكن اسرني احد الملائكة وهو رجل اقوى واعظم مني ويرتدي ملابس خضراء ويمتطي فرس اخضر وسلمني لهذا الضعيف [22] .

وفي رواية اخرى تظهر سذاجة الصليبيين من خلال الرؤى والاحلام اثناء حصار مدينة انطاكية ويؤكدها الشارتري [23] فيقول " ظهر الرب لرجل دين معين كان فارا لخوفه من الموت ، وقال له الى اين انت ذاهب يا اخي فأجاب انني فار ، لئلا يسعفني سوء الحظ واهلك ... فأجاب الرب رجل الدين لا تهرب بل عد وقل للآخرين انني سأكون معهم في المعركة ... وسوف اكون رحيما على الفرنجة ... وسوف اكتب لهم النصر على الاتراك ... لأنني انا الذي اكلمك انا الرب " .

وكانت هذه الرؤى هي من عمل رجال الدين حتى يثبتوا للناس كيف يريد الرب هذه الحرب وهو داعماً لها وكانت تظهر هذه الرؤى كلما اشتدت الازمات فيستغل رجال الدين والقادة السذاجة الدينية للصليبيين واثارة الحماسة بينهم ، حيث ظهرت معجزة اخرى اثناء حصار انطاكية وهي في احد الايام تجمعت في السماء النجوم المضيئة وشكلت كتلة كبيرة على شكل دائرة حول القطب وتنبعث منها اشعة نارية تشبه الجمر ثم فتح منفذ في هذه الدائرة ، وفسر الصليبيون هذه الاعجوبة وقالوا ان هذا

يعني مدينة القدس وهي محاطة بالأتراك وان الرب فتح لها منفذ للنجاة على يد الصليبيين وقال قسم اخر ان الرب جمع كل قوته ليضرب بها الاعداء [24] .

وبث رجال الدين معجزة اخرى بين صفوف الصليبيين وهي تقول بأن الاموات سوف يظهرون بأمر الرب ويحاربون مع الاحياء في الحرب المقدسة والدليل على ذلك عندما اشتد الخوف على الصليبيين من الموت في حصار انطاكية بسبب الازمات التي لحقت بهم هربت مجموعة منهم وتسللوا من الحصار وظهر امام احد الهاربين شقيقه الذي مات قبل مدة وقال له " الى اين انت هارب يا اخي ؟ اقعد ولا تخف ، فإن الرب سيكون معكم في نضالكم . وان رفاقكم في هذه الرحلة ، الذين سبقوكم الى الموت ، سيحاربون معكم ضد الاتراك ... وامتنع عن الفرار واخبر الباقين " [25] .

وظهرت قصة خرافية اخرى من تدبير رجال الدين والقادة الصليبيين حتى يؤكدوا ان الحرب الصليبية هي من مشاريع الرب ، حتى يشدون بها عزيمة الناس ، وهي الحربة المقدسة التي طعن بها السيد المسيح في جنبه الشريف ، حيث تقول القصة بعد الزلزال الذي ضرب انطاكية اثناء حصارها من قبل الصليبيين كان بطرس بارثولوميو [26] قد اصابه الرعب ، ويدعوا ربه في جوف الظلام ويقول انقذني يا رب وفجأةً ظهر له السيد المسيح ومعه احد القديسين واخذوا معهم بطرس الى كنيسة داخل انطاكية ، ولم يراهم المسلمون على الاسوار ثم قام القديس بإدخال يده تحت التراب واظهر الحربة المقدسة ، ثم ارجعها القديس الى نفس الموضع وبعدها ارجعوا بطرس الى فراشه وقالوا له اذهب واخبر الاسقف والكونت بهذه القصة وبعد استيلائكم على انطاكية ارجع الى هذا الموضع ومعك اثنا عشر رجل وفتشوا عنها في نفس الموضع حتى تجدوها ، لكن بطرس لضعف حالته لم يخبر الصليبيين بهذه القصة الى ان جاء له القديس والسيد المسيح ثلاث مرات واجبروه على ان يخبر الناس بما حدث [27] .

فكانت السذاجة الدينية عند الصليبيين لها دور كبير جداً على تماسكهم والشد من عزمهم في الحروب الصليبية اذ يستغلها القادة ورجال الدين كلما تشتد بهم الازمات ، فيكثروا من بث الاحلام داخل صفوف الجيش الصليبي والتي تؤكد على انتصارهم بأمر الرب ، حتى تقوى عزيمتهم وهمتهم ، والدليل على ذلك عندما حاصرهم الجيش التركي داخل انطاكية واشتد الخوف والحزن عليهم في احد الايام ولتدارك الامر فقد زعم احد رجال الدين ان السيد المسيح وامه واحد القديسين قد ظهروا له في

المنام وقال المسيح له ان الذي يبعدني عنكم هي الذنوب التي ترتكبونها فأخبر شعبي ان يتوبوا للرب ويكفروا عن ذنوبهم وسوف اساعدكم بعد خمسة ايام [28] .

لقد كان الصليبيين متمسكين بهذه الخرافات والاحلام عندما تتأزم امورهم العسكرية وتؤكد ذلك رواية اخرى اذ ان الاسقف أدهيمار [29] بعد موته في انطاكية ودفنه في الكنيسة قد ظهر في الرؤيا الى بطرس بارثولوميو وشرح له كيف تعذب في النار بعد ان خرجت روحه من الجسد وحرق وجه ورأسه وجلد بالسياط بسبب تشككه برواية الحربة لكن الرب غفر له بسبب انه اعطى الصدقة في حياته وقيام بعض اصدقائه بالدعاء واشعال الشموع له وقام بتقديم النصائح للصليبيين وانه سوف يقدم المساعدة للصليبيين وهو ميت اكثر من ما هو حي [30] .

كان الدين عند الصليبيين مبني على الرؤيا والخرافة التي يفتي بها رجال الدين حتى يرفعون من معنويات الجيش في الحرب المقدسة ويؤكدون على الذين ماتوا من الصليبيين خلال هذه الحروب سوف يعيشون حياة سعيدة بعد الموت بغض النظر عن الذنوب التي يرتكبونها والدليل على ذلك في حصار عرقة [31] كان أنسلم أوف [32] قبل موته ارتكب كثير من الذنوب وطلب الرحمة من الرب فغفرت ذنوبه اذ ظهر له في المنام إنجلراند [33] الذي مات في معرة النعمان [34] وكان ذا مظهر مبهم [35] وقال له أنسلم كيف اصبحت هكذا فقال لي إنجلراند " إن الذين يموتون في خدمة المسيح لا يموت أبداً ... وأراني بيتاً في السماء جميلا ... فقال انجلراند إن هناك بيتاً أجمل منه كثيراً يعد لك غداً " [36] .

وعندما تأزمت الاوضاع داخل المعسكر الصليبي اثناء حصار بيت المقدس وقلة الغذاء وانتشار المجاعة بينهم بسبب طول مدة الحصار وهبطت معنوياتهم فقد ذاع بين الصليبيين ان أدهيمار اخذ يزور بعضهم في المنام مرة اخرى وينقل تعليمات الرب لهم وقال للشخص الذي زاره في المنام " مر الأمراء ، والجمهور ، والصليبيين القادمين من بلاد بعيده ... ليعبدوا الرب ورب كل الجيوش ، أن حرروا انفسكم ... وليعط كل منكم ظهره للخطيئه ، ثم اخلعوا أحذيتكم ، وسيروا حفاة باقدام عارية حول بيت المقدس ، ولا تنسوا أن تصوموا . فإذا اتبعتم هذه الأوامر ، ستسقط المدينة ... ولكن إذا لم يفعلوا ذلك ، فإن الرب سيزيد من كل مصائب الماضي ... لقيت هذه الاوامر قبولاً عاماً ، وصدر أمر بأن يقود رجال الدين ... وهم يحملون الصلبان وآثار القديسين موكبا يتبعه الفرسان والرجال والأقوياء " [37] .

كان الصليبيين ينسبون انتصاراتهم بالحرب المقدسة الى القدرة الالهية التي تساعدهم وتخلق لهم المعجزات بالحرب وتحقق لهم النصر وتكون روح الرب حاضرة معهم في ساحات القتال وتحميهم

من اعدائهم المسلمين ومثال على ذلك في معركة عسقلان عام (492هـ/1099م) اذ يذكر مؤلف الجستا المجهول [38] " كان الجند كثيرين لا يحصيهم العد ولا يعرف عددهم سوى الرب ، وحمى وطيس [39] القتال ؛ غير ان قوة الهية عاونتنا ... التي جعلت النصر يواتينا في اقصر وقت . غشى [40] الله أبصار أعدائه وأهلهم . رغم شدة ابصارهم ... وكأنهم لا يرون شيئا ما أمامهم ... لان القوة الربانية روعتهم " .

وظهرت السذاجة الدينية بعد احتلال مدينة معرة النعمان في عام (492هـ/1098م) من قبل الصليبيين فكانت هذه الرواية تشير الى ان مجموعة من الصليبيين تم قتلهم على يد المسلمين في احدى المعارك اذ ظهرت على جثثهم معجزات الرب وهي ظهور الصلبان على اكتافهم اليمنى وعندما رأى الصليبيين هذه المعجزة شعروا براحة كبيرة وصلوا للرب ، وتسلطت القدرة الالهية مرة اخرى على احد الصليبيين الذي مزقت جسمه سيوف المسلمين بضربات قاتلة لكنه عاش ثمانية ايام دون طعام وماء بقدرة الرب [41] .

فكانت السذاجة الدينية عند الصليبيين خلال الحروب المقدسة لها دور كبير في انتصاراتهم التي حققوها على المسلمين اذ استغلها القادة ورجال الدين حتى يرفعوا معنويات الجيش في الحرب واستغلها ايضاً المؤرخين اللاتين حتى يمجدوا بها شخصيات صليبية بارزة ويرفعوا من شئنها في القتال ومثال على ذلك في معركة انطاكية فيقول وليم الصوري [42] " فكان [فارس صليبي] يضرب الضربة الواحدة يقطع بها رؤوس أكثر من فارس [مسلم] مدرع ، ثم قضى بشجاعة فارساً آخر لم يمنعه ما عليه من زرد [43] الحديد من أن يصيبه بضربة فقطعه نصفين " .

كان الصليبيين ينسبون كل الظواهر الطبيعية التي تحدث في الكون الى الحرب المقدسة اذ تكون هذه الظواهر موجه لهم من قبل الرب اما لتوبيخهم عند ارتكابهم المعاصي او لأضافة *الصفة الشرعية على حروبهم ضد المسلمين والدليل على ذلك في حصار انطاكية* عام (491هـ/1098م) *عندما وقعت هزة أرضية وتلى ذلك تحول السماء من الجهة الشمالية الى لون احمر اثناء الليل فأن الصليبيين خافوا وارتعبوا من هذا المنظر الرهيب اذ اعتبروها اشارة دالة على غضب الرب عليهم بسبب اعمال السلب والشغب التي قاموا بها لذلك قام الاسقف أدهيمار بحث الناس ان يصلوا ويتصدقوا ويصوموا ثلاثة ايام وامر رجال الدين ان يؤدوا الطقوس الدينية [44]* .

وعندما كان الصليبيين محاصرين داخل انطاكية من قبل الاتراك واستبد بهم الخوف والرعب وانتشار المجاعة بينهم وفي هذه الاثناء ظهرت معجزة في السماء اذ تفرع احد الشهب [45] الى ثلاثة اجزاء وسقط من السماء داخل معسكر الاتراك واندهش الصليبيين بالسعادة واعتبروا هذه الظاهرة

انها اشارة من الاعجاز الالهي نزلت عليهم من السماء لتساعدهم وتشجعهم على الصمود بوجه الاتراك المسلمين (46).

وكذلك ينسبون الصليبيين ظاهرة الفقر والبؤس وقلة الطعام الى الذنوب والمعاصي التي يرتكبونها وان الرب يبتعد عنهم بسبب هذه الخطايا وينزل غضبه عليهم حتى يتوبوا له ويكفروا عن ذنوبهم ، اذ يذكر بطرس توديبود (47) " نشر الرب الفقر والبؤس في صفوفنا ، بسبب خطايانا " .

فكان تفسير الصليبيين للظواهر الطبيعية الغير متوقعة والتي تحدث لهم في الحرب انها إعجاز الهي يمكن الصليبيين من الانتصار على الاعداء ومثال على ذلك ما يذكره ريموند انجيل (48) اذ قال " قد تجلت (49) معجزة كبرى تدل على حماية الرب ، عندما تمكن ستون من رجالنا من صد هجمة قام بها سبعة آلاف من المسلمين ، وأروع من ذلك سيلاً من الامطار اغرق في اليوم السابق الخندق المحيط بالقلعة وملأه بالماء " .

كما اكد الصليبيين الاعجاز الالهي الذي حصل لهم عندما خرجوا من انطاكية بكل قوتهم لمحاربة الاتراك وكان عدد جيشهم اقل من جيش المسلمين وحدثت المعجزة اذ ان الرب قد انزل عليهم المطر الخفيف وكان لهذا المطر تأثير على الجيش الصليبي وايضاً على خيولهم فكانت قطرات المطر الخفيف تساعدهم على القتال وتزيدهم خفة وقوة ، وبنفس الوقت يعيق حركة المسلمين وتمكن الصليبيين من الانتصار (50) .

كما اكد الصليبيين على دعم الرب لهم في الحرب المقدسة ونزول المعجزة الالهية بجانبهم من خلال انتصارهم في معركة عسقلان عام (492هـ/1099م) على الجيش الفاطمي ، وكان عددهم وقوتهم اقل من عدد الفاطميين كما يذكر المؤرخ اللاتيني بإمكان الفاطميين ان يغرقوا المعسكر الصليبي في بصاقهم (51) ، لكن بمباركة رجال الدين وسيرهم حفاة حول القبر المقدس حاملين معهم الحربة المقدسة والصليب طالبين منه العون لذلك حصلت المعجزة وسخر الرب لهم الحيوانات من الابقار والاغنام والجمال والحمير التابعة للعرب التي استولوا عليها الصليبيين قبل المعركة ان تسير معهم واربكت الفاطميين " وكانت مساعدة الحيوانات حقاً معجزة من الرب " ، وفروا هاربين وتسلقوا الاشجار (52) .

ويؤكد المؤرخون اللاتين على السذاجة الدينية للصليبيين وحصول المعجزات الخارقة عندما تشتد بهم الازمات وان الرب قد امدهم بجنود من السماء تحارب الى جانبهم ، والدليل على ذلك عندما خرجوا من انطاكية لمحارب الاتراك خارج الاسوار اذ كان عددهم اقل من عدد الاتراك ، لكن الرب قد ارسل لهم جيش سماوي من الملائكة يحمل الصلبان والرايات البيضاء ويحاربون الى جانبهم بقيادة احد القديسين حتى اصبح عدد الصليبيين يفوق عدد الاتراك المسلمين وبهذا الجيش السماوي الذي ارسله لهم الرب تمكن الصليبيين من كسر حصار الاتراك والانتصار عليهم وتشتيت شملهم [53] .

الهوامش

---

(1) بردج ، انتوني ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص23 .

(2) الاعتبار ، ص 131 .

(3) قاسم ، عبدة ، الخلفية الايديولوجية للحروب الصليبية ، ص 81 – 82 .

(4) تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص 236 ، ص 241 .

(5) جبل الزيتون هو جبل بفلسطين ويتصل بجبال إسرائيل وقد دعي كذلك لكثرة الزيتون فيه وهو قريب المسافة من أورشليم . القاسمي ، محاسن التأويل ، ج 9 ، ص 499 ؛ المقدم ، ، تفسير القرآن الكريم ، ج 198 ، ص 4 .

(6) هي مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين . اليعقوبي ، البلدان ، ص 168 ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص 122 ؛ القطيعي ، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، ج2 ، ص940 .

(7) ريموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص 262 .

(8) الزغبي ، اخلاق وسلوكيات الفرنج في الحروب الصليبية ، ص281 .

(9) عبدة ، الخلفية الايديولوجية للحروب الصليبية ، ص 82 .

(10) أحد بابا روما، فرنسي الأصل اسمه أودو دى لاجيرى ولد بمدينة شاتيون سنة (434هـ/1042م) من أسرة نبيلة تلقى تعليماً كنسياً على يد القديس برونو حتى صار قساً ثم رحل إلى روما ودخل في خدمة البابا جريجورى السابع واختير في الكرسي البابوي سنة (481هـ/1088م) توفي في سنة (492هـ/1099م) . احمد ، احمد عبدالله ، الجرائم والعقوبات في المجتمع الصليبي في بلاد الشام ، ص29 ؛ موسوعة سفير للتاريخ الاسلامي ، ج10 ، 702 .

(11) ولد بطرس الناسك في مدينة أميناس في غرب فرنسا وكان يعمل واعظاً في كنيسة بيري وكان متحمساً جداً وقام بشغف بالدعوة الى الحملة الصليبية الاولى وكان خطيباً مفهوماً يستطيع ان يؤثر على

الشعب بخطبه وانتشر صيته في ربوع فرنسا فقلده وتبعه القساوسة والرهبان . آخن ، البرت فون ، تاريخ الحملة الصليبية الاولى ،. ج 31 ، ص 8 – 9 ؛ احمد ، الجرائم والعقوبات ، ص31 .

(12) كومنينا ، الكسياد ، ص 388 ؛ الصوري ، الحروب الصليبية ، ج 1 ، ص 94 .

(13) هي عاصمة اقليم اوفيرن وتقع جنوب فرنسا . الشارتري ، تاريخ الحملة الى القدس ، ص31 ؛ الصوري ، الحروب الصليبية ، ج1 ، ص98 .

(14) توديبود ، تاريخ الرحلة الى بيت المقدس ، ص 61 .

(15) سمث ، الحملة الصليبية الاولى ، ص 60 – 61 .

(16) رانسيمان ، الحملات الصليبية ، ص231 ؛ عبدة ، الحملة الصليبية الاولى نصوص ووثائق ، ص 121 – 122 ؛ زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص 56 .

(17) من اعمال اسطنبول على البئر الشرقي . الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص333.

(18) ريموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص 79 .

(19) المصدر نفسه ، ص 79 – 80 .

(20) هي قصبة العواصم من الثغور الشامية، من أعيان البلاد وأمّهاتها، موصوفة بالنزاهة والطّيب والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه، وسعة الخير . الحموي ، معجم البلدان ، 1995م ، ج1 ، ص266 ؛ القطيعي ، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، ج1 ، ص125 .

(21) الشارتري ، تاريخ الحملة الى القدس ، ص 55 .

(22) ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج 2 ، 190 .

(23) تاريخ الحملة الى القدس ، ص 60 .

(24) آخن ، تاريخ الحملة الصليبية الاولى ، ص 117 – 118 .

(25) الشارتري ، تاريخ الحملة الى القدس ، ص 60 .

(26) بطرس بارثولوميو هو فلاح بروفنسالي جاء الى الشرق في الحملة الصليبية الاولى مع احد الحجاج وقد اجمع الناس على سذاجته وذو حالة رثة ، وبعد ان قص هذه القصة وضعه ريموند كونت تولوز في حراسة احد اساقفته ، ومات بعد ايام قليلة على اثر الجراح التي اصابته عندما مر داخل نار موقدة وحامل بيده الحربة المقدسة حتى يثبت للناس صدق روايته وان النار ببركة الرب لا تؤثر به . ريموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص 128 - 135 ؛ الصوري ، الحروب الصليبية ، ج 2 ، ص 55 .

(27) ريموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص 127 – 128 ؛ مجهول ، اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص 82 – 83 ؛ الشارتري ، تاريخ الحملة الى القدس ، ص 65 ؛ كومنينا ، الكسياد ، ص 435 ؛ توديبود ، تاريخ الرحلة الى بيت المقدس ، ص 208 ؛ الصوري ، الحروب الصليبية ، ج 2 ، ص 54 – 55 ؛ زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص 96 – 97 .

(28) ريموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص 131 – 132 ؛ مجهول ، اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص 80 – 81 ؛ توديبود ، تاريخ الرحلة الى بيت المقدس ، ص 205 – 207 .

(29) أدهيمار هو احد رجال الدين الفرنج والمندوب البابوي وعين اسقف على مدينة انطاكية بعد سقوطها بيد الصليبيين وكانت وفاته عام (491هـ/1098م) بسبب الامراض المنبعثة من جثث المسلمين المتعفنة في انطاكية التي لم يتم دفنها . ريموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص 159 ؛ سمث ، الحملة الصليبية الاولى وفكرة الحروب الصليبية ، ص 126 .

(30) ريموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص 151 – 152 .

(31) هي بلدة في شرقي طرابلس بينهما أربعة فراسخ، وهي آخر عمل دمشق، وهي في سفح جبل، بينها وبين البحر نحو ميل وقيل هي من العواصم بين رفنية وطرابلس . ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج 40 ، ص 296 ؛ الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص 109 ؛ القطيعي ، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، ج2 ، ص 933 .

(32) أنسلم أوف هو راهب مدينة ربيمونت الفرنسية جاء مع الحملة الصليبية الاولى ومات بسبب صخرة اصابته في رأسه اثناء حصار عرقة . ريموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص 187 ، ص 194 ؛ الشارتري ، تاريخ الحملة الى القدس ، ص 68 .

(33) إنجلراند هو شخص من مدينة سان بول في انكلترا لم يتم التعرف عليه ويستخدمه المؤرخ ليضيف الى قصته لمسة واقعية . ريموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص 194.

(34) هي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة . الحموي ، معجم البلدان ، ج 5 ، ص 156 ؛ القطيعي ، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، ج2 ، ص 955 .

(35) تستخدم هذه الكلمة للاستفهام عن الاحوال وقد تقع بمعنى التعجب . ابن منظور ، لسان العرب ، ج 9 ، ص 313 .

(36) ريموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص 187 .

(37) المصدر نفسه ، ص 241 – ص242 .

(38) اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص 123 .

(39) هو شيء يتخذ مثل التنور يحتفر في الأرض يختبز فيه وقيل هي تنور من حديد وبه شبه حر الحرب . الفراهيدي ، العين ، ج 3 ، ص 154 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج 6 ، ص 255 .

(40) معناها هو اخفاء الشيء او غشيان الشيء عن بصر العين اي غشيت الشيء تغشية اذا غطيته . الفراهيدي ، العين ، ج 3 ، ص 366 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج 15 ، ص 126 .

(41) ريموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص 172 – 173 .

(42) الحروب الصليبية ، ج 1 ، ص 323 .

(43) هو الدرع الذي يرتديه الفارس اثناء القتال حتى يحمي جسمه من ضرب السيوف والرماح . بن درستويه ، تصحيح الفصيح وشرحه ، ص 60 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج 3 ، ص 194 .

(44) ريموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص 91 ؛ الشارتري ، تاريخ الحملة الى القدس ، ص *55* .

(45) *هي شعلة من نار تنقض في الليل منفصلة من نار الكواكب ونورها* . الفراهيدي ، العين ، ج 3 ، ص 403 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج 12 ، ص 227 .

(46) ريموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص 133 ؛ مجهول ، اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ص *85* .

(47) تاريخ الرحلة الى بيت المقدس ، ص 140 .

(48) ريموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص 109 .

(49) *معناها انكشفت وخرجت من الغشاء . ابن منظور ، لسان العرب ، ج 14، ص153 .*

(50) ريموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص 146 ؛ الصوري ، الحروب الصليبية ، ج 1 ، ص 408 .

(51) *هو اللعاب او التفال* . الفراهيدي ، العين ، ج 5 ، ص 69 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج 11 ، ص 77 .

(52) ريموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص 261 – 263 ؛ توديبود ، تاريخ الرحلة الى بيت المقدس ، *ص 338 – 340* .

(53) ريموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ص *146* ؛ مجهول ، اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ص *94* ؛ توديبود ، تاريخ الرحلة الى بيت المقدس ، *ص 230* ؛ الصوري ، الحروب الصليبية ، ج 1 ، ص 410 .

المصادر

1) *ابن منقذ ، ابو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين اسامة ، ت 584هـ - 1188م ، الاعتبار ، (ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر) .*
2) *ريموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، معاصر للحملة الصليبية الاولى ، (ترجمة حسين محمد عطية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1990م) .*
3) *ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي ، ت 711هـ 1311م ، لسان العرب ، (ط3 ، دار صادر ، بيروت ، 1414هـ) .*
4) *الصوري ، وليم ، الحروب الصليبية ، (ترجمة حسن حبشي ، 1991م) .*
5) *اليعقوبي ، احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب ، ت 292هـ - 904م ، البلدان ، (ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1422هـ) .*
6) *الحموي ، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت ، ت 626هـ - 1228م ، معجم البلدان ، (ط2 ، دار صادر ، بيروت ، 1995م) .*
7) *القطيعي ، عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل ، ت 739هـ - 1338م ، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، (ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1412هـ) .*
8) اخن ، البرت فون ، تاريخ الحملة الصليبية الاولى ، (دمشق ، 2007م) .

9) كومنينا ، انا ، الكسياد ، (ط1 ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، 2004م) .
10) الشارتري ، فوشيه ، معاصر للحملة الصليبية الاولى ، تاريخ الحملة الى القدس ، (ط1 ، دار الشرق) .
11) توديبود ، بطرس ، تاريخ الرحلة الى بيت المقدس ، (ط1 ، 1999م).
12) مجهول ، اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، (دار الفكر العربي ، 1958م) .
13) ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، ت 571هـ - 1175م ، تاريخ مدينة دمشق ، (ط1 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1995م) .

14) الفراهيدي ، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو ،ت 170هـ - 786م ، العين ،(ط1 ، مكتبة الهلال) .
15) ابن درستوية ، ابو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد ، ت 347هـ - 958م ، (ط1 ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ، 1998م) .

المراجع

16) بردج ، انتوني ، تاريخ الحروب الصليبية .
17) قاسم ، عبده قاسم ، الخلفية الايديولوجية للحروب الصليبية ، (ط1 ، عين للبحوث والدراسات الانسانية والاجتماعية ، مصر ، 1999م) .
18) المرجع نفسه ، الحملة الصليبية الاولى نصوص ووثائق ، (ط1 ، عين للبحوث والدراسات الانسانية والاجتماعية ، مصر، 2001م) .
19) القاسمي ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم ، ت 1332هـ ، محاسن التأويل ، (ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418هـ) .
20) المقدم ، محمد احمد اسماعيل ، تفسير القرآن الكريم .
21) الزغبي ، نورة فراج ، اخلاق وسلوكيات الفرنج في الحروب الصليبية ، (ط1 ، تكوين للنشر والتوزيع ، جدة ، 2021م) .
22) احمد ، احمد عبدالله ، الجرائم والعقوبات في المجتمع الصليبي في بلاد الشام ، (ط1 ، دار الافاق العربية ، القاهرة ، 2016م) .
23) رانسيمان ، ستيفن ، تاريخ الحملات الصليبية ، (ط1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1994م) .
24) زابوروف ، ميخائيل ، الصليبيون في الشرق ، (دار التقدم ، 1986م).
25) سمث ، جوناثان ريلي ، الحملة الصليبية الاولى وفكرة الحروب الصليبية ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1999م) .
26) موسوعة سفير للتاريخ الاسلامي .